بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

آثَارَ الإِيمَانِ

الخُطبةُ الأُولَى:

الْحَمْدُ للهِ الْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، الْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ أَفْضَلَ مَنْ صَلَّى وَصَامَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ الْكِرَامِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا...

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ من آثارِ الإيمانِ عَلى الحياةِ: سَعَادَةُ الْبُيُوتِ وَالْأُسَرِ، بَيْتٌ يدْخلُهُ الْإِيمَانُ بَيْتٌ سَعِيدٌ؛ لَا يُخْرِجُ إِلَّا السُّعَدَاءَ بِإِذْنِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؛ اسْتَعَاضَ أَهْلُهُ عَنِ الْغِنَاءِ بِتَرْتِيلِ الْقُرْآنِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَاسْتَغْنَوْا عَنِ الْقَنَوَاتِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْمَاجِنَةِ بِتَقْلِيبِ الْمُصْحَفِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَالْكُتُبِ الْمُفِيدَةِ، وَاسْتَغْنَوْا عَنِ السَّجَائِرِ وَالْمُخَدِّرَاتِ وَمَا فِي حُكْمِهَا مِنَ الْخَبَائِثِ بِالسِّوَاكِ، فَطَهَّرُوا أَفْوَاهَهُمْ وَأَرْضَوْا رَبَّهُمْ.

سَعَادَةٌ وَأَيُّ سَعَادَةٍ، نِسَاءُ هَذَا الْبَيْتِ مُسْلِمَاتٌ مُؤْمِنَاتٌ قَانِتَاتٌ تَائِبَاتٌ عَابِدَاتٌ مُتَحَجِّبَاتٌ مُمْتَثِلَاتٌ لِأَمْرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، يَخْرُجُ الزَّوْجُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْبَيْتِ الْمُؤْمِنِ فَتَقُولُ الزَّوْجَةُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا وَلَا تُطْعِمْنَا إِلَّا حَلَالًا؛ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَلَا نَصْبِرُ عَلَى النَّارِ.

إِنَّهُ الْإِيمَانُ يَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، إِنَّ الْبَيْتَ الْمُتَرَبِّيَ عَلَى الْإِيمَانِ يُدْرِكُ الْأَطْفَالُ هَذَا الْإِيمَانَ، فَيُدْخِلُ إِلَى قُلُوبِهِمُ السَّعَادَةَ وَلَوْ كَانُوا لَمْ يَحْظَوْا مِنَ الدُّنْيَا بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

الْبُيُوتُ الْمُؤْمِنَةُ تُخْرِجُ أَشْبَالَ الْإِيمَانِ، وَالْأُسَرُ الَّتِي تَرَبَّتْ عَلَى الْإِيمَانِ تُخْرِجُ أَشْبَالَ الْإِيمَانِ.

وَمِنْ آثَارِهِ عَلَى الْفَرْدِ: الْوَلَاءُ الْخَالِصُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْعَدَاءُ لِلْأَعْدَاءِ لِلدِّينِ وَلَوْ كَانُوا آبَاءً أَوْ أَبْنَاءً أَوْ إِخْوَانًا أَوْ عَشِيرَةً، نَاهِيكَ عَنْ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، وَكُلُّهُمْ ضَالُّونَ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

من آثارِ الإيمانِ عَلى حياةِ النَّاسِ: أَنَّهُ يُكْسِبُ الْعِزَّةَ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَمْشِي نَحْوَ هَدَفِهِ مَرْفُوعَ الْقَامَةِ وَالْهَامَةِ، لَا يُحْنِي رَأْسَهُ لِمَخْلُوقٍ، وَلَا يُطْأْطِئُ رَقَبَتَهُ لِجَبَرُوتٍ أَوْ طُغْيَانٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَهُوَ سَيِّدٌ فِي الْكَوْنِ هَذَا، وَعَبْدٌ للهِ وَحْدَهُ، لَا غَرْوَ إِذَا رَأَيْنَا مُؤْمِنًا أَعْرَابِيًّا مِثْلَ رِبْعِيِّ بْنِ عَامِرٍ حِينَ بَاشَرَتْ قَلْبَهُ بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ، وَأَضَاءَتْ فِكْرَهُ آيَاتُ الْقُرْآنِ، يَقِفُ أَمَامَ رُسْتُمَ فِي سُلْطَانِهِ وَإِيوَانِهِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لَهُ وَلَا عَابِئٍ بِهِ، حَتَّى إِذَا سَأَلَهُ رستم: مَنْ أَنْتُمْ وَمَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ؟ زَعَقَ فِي الْإِيوَانِ وَأَجَابَ إِجَابَةَ فِي عِزَّةِ مُؤْمِنَةٍ خَلَّدَهَا التَّارِيخُ فَقَالَ: [نحن قوم قَدْ ابْتَعَثَنَا اللهُ لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ ضِيقِ

الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلَامِ] عزةٌ وأي عزة! إنَّها لا تُوجدُ إلاّ في ظِلالِ الإيمان.

أمَّةُ الصحراءِ يا شعبَ الخُلود ... مَنْ سِواكُم حَلَّ أغْلالَ الورَى
أيُّ دَاعٍ قَبلكُم في ذَا الوجُود ... صَاحَ لا كِسرَى هُنَا لا قَيصَرَا
مَنْ سِواكُم في قَديمٍ أو حَديث ... أَطلَعَ القرآنَ صُبحاً للرَّشاد
هَاتفاً في مَسمَعِ الكَونِ العظيم ... ليسَ غيرَ اللهِ رَباً للعباد
فكِّروا في عَصرِكُم وانتبهوا ... طالَمَا كُنتم جَمَالاً للعُصُر
وابْعَثُوا الصَّحرَاءَ عَزماً وابعثوا ... مَرَّةً أُخْرَى بِها رُوحَ عُمَر

ها هو آخر قد آمن بالله حقاً، فأكسبه ذلك الإيمان عزة، جعل يتكلم في هشام بن عبد الملك الخليفة كلاماً غليظاً جافياً، فأمر هشام بإحضاره، فلما وقف بين يديه جعل يتكلم، فقال هشام له: وتتكلَّم أيضًا في مجلسي؟! فَقَالَ: يقُولُ اللهُ جلَ وعَلا: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[النحل: ١١١]، أفنُجادلُ اللهَ جدالًا ولا نُكلِّمُك كلامًا يا هشام؟ فما كانَ من هشام إلا أن قَالَ: قُل ما شئت، ثم انْصَرِف رلشداً، فَقَال ما شاءَ وانصرَفَ رلشداً بعزةِ المؤمن: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون: ٨].

إنَّ العزّة أثرُ إيمانٍ يُظهرُ صاحبهُ الحقَ، لا يخشى دون اللهِ أحداً، ليسَ هذا فَحسب، وهاكُم مَثَلاً آخَر: ذلكُم الشيخ سعيد الحلبي عالِم الشام في عصره، كانَ في درسٍ من دروسه مَادَّاً رجله في مسجد من مساجد الشام، فدخل إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصْر آنذاك، فقامَ الناسُ كلهم إلاّ هذا الشيخ، وبقيَ مادّاً رجله في حَلَقَته يُلقي قَالَ اللهُ وقَالَ رسولُه ﷺ، فتأثر ذلك الطاغية، وأثَّر ذلك في نفسه إذ لم يقم له هذا الشيخ، فقال في نفسه: لآتينه من بابٍ لطالما أُتِيَ طَلَبةُ العلمِ مِنْ هَذَا الباب، فذهبَ وأضمرَ له ما أضمر، وأحضرَ ألف ليرةٍ ذهبية –في وقتٍ الشيخُ قد لا يَجد فيه ليرة واحدة– وقالَ لأحد جنوده: اذهبْ إلى الشيخ وأعطه هذه، فأخذَ هذَا الجُندي ذلك المبلغ، وذهبَ به إلى الشيخِ ولا زال مادّاً رجله في حلقته يُدَّرسُ قال الله وقال رسوله ﷺ، ويكتَسبُ العزة من خلالِ قَالَ اللهُ وقَالَ رسولُه، فجاءَ إليه وقَالَ: إن إبراهيم باشا يقولُ: خُذ هذه الألفَ الليرة الذهبية، فَمَا كَانَ منه إلا أنْ نَظَرَ إليه بِعزةِ المؤمن، وتَبَّسم تبسم المُغْضَب، وقال: رُدَها له، وقُل لهُ: إن الَّذي يَمدُ رِجْلَيه لا يَمدُ يَديه.

ومِنْ آثَارِ الإيمان: سعَةُ الرِّزْقِ لأهْلِ الْإِيمَانِ وَالْبَرَكَةِ فيه.

الْمُؤْمِنُ –أَيُّهَا الْأَحِبَّة– لَا يَذْهَبُ منْهُ رِيَالٌ في شِرَاءِ مَا يُغْضِبُ اللهَ جلّ وَعَلا، لَا يَذْهَبُ منْهُ رِيَالٌ في شِرَاءِ دُخَانٍ، وَمَا فِي حُكْمِ الدُّخَانِ منَ الْخَبَائِثِ، وَلَا يَذْهَبُ منْهُ رِيَالٌ في شِرَاءِ فِيلمٍ مُفْسِدٍ أَوْ مَجلَّةٍ أَوْ جَرِيدَةٍ مُفْسِدَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مسئولٌ أَمَامَ اللهِ، منْ أَيْنَ اكْتَسَبَه، وَفِيمَا أَنْفَقَه، فَيَصُونُ رِزْقَهُ عَنِ الرِّبَا، وَعَنِ الْغِشِّ، وَعَنِ الْحِيَلِ، وَعَنِ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، وَيُجَنِّدُ رِزْقَهُ فِيمَا يُرْضِي اللهَ جَلّ وَعَلَا، فَيَرْزُقُهُ اللهُ وَيُبَارِكُ اللهُ لَهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق:٢-٣].

ومِنْ آثَارِ الإيمان: صِدقُ التوكلِ على اللهِ، وتفويضُ الأمورِ إلى اللهِ جلَّ وعلا، والاعتمادُ عليه في السَّعي في هذه الحياة، واستمدادِ العونِ منه في الشَّدةِ والرَّخاءِ؛ فالمؤمنون يجدون في توكلهم على اللهِ راحةً نفسيةً، وطُمأنينةً قلبية، إنْ أصابَهم خيرٌ

حَمِدُوا الله جل وعلا وشكروه، وإن أصابتهم شدة صبروا وشكروا، ولسانُ حالهم ومَقَالهم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾[إبراهيم: ١٢].

ها هو خالد بن الوليد ﷺ المؤمنُ الحق –بإذن الله– يُقَدَّمُ له في يومٍ من الأيام سُمٌّ مِنْ قِبَلِ طاغيةٍ من الطغاة، ويقولُ لهُ هَذا الكافر: إن كنتم صادقين في التوكل على الله جل وعلا واللجوء إليه، والثقة به، فاشرب هذه القارورة من السم.

فما كان من خالد ﷺ إلا أن أخذها وقال: [بسم الله، توكلت على الله، ثقة بالله سبحانه وتعالى] ثم شربه، فلم يصبه إلا للعلفية: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)﴾[العنكبوت: ٥٨-٥٩].

ومِنْ آثَارِ الإِيمان: انشراحُ الصدر، وطُمأنينة القلب: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الزمر: ٢٢]، المؤمن منشرح الصدر، مطمئن القلب، قد آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، فذاقَ حلاوة الإيمان، فانشرحَ صدره.

ها هو أحد المؤمنين يقولُ –وقد انشرحَ صدرُه للإيمان فتلذذَ بهذه العبادات التي هي من الإيمان–: [والله لولا قيامُ الليل ما أحببتُ الدنيا، والله إن أهلَ الليلِ في ليلِهم ألذُّ من أهلِ اللَّهوِ في لهوهم، وإنه لتمرُّ بالقلب ساعاتٌ يرقصُ فيها طرباً بذكرِ الله، فأقول: إن كان أهلُ الجنةِ في مثلِ ما أنا فيه من النعيمِ إنهم لفي نعيمٍ عظيم]، تلذذوا بالإيمان، وذاقوا حلاوة الإيمان فانشرحت صدورهم.

ومِنْ آثَارِ الإِيمان على الحياة بعمومها: نجاة سفينة الأمة، ووصولها لبر الأمان نتيجةَ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من الإيمان، بل هو عمادٌ من أعمدة الإيمان، فالحياة كلها سفينة تَمخُرُ عُبابَ البحر، لا تكاد تسكن حتى تضطرب، ولن يكتب الله السلامة لها فوق الموج المضطرب حتى يكون كل شخص منها على حذر مما يفعل، ويقظة لما يُريد.

والمجتمع كالسفينة يركب ظهرها البَرُّ والفاجر، والمتيقظ والغافل، والطالب العلم والجاهل، هذا يُصلح وذاك يُحرق ويُفسد، والمؤمن بإيمانه هو الصالحُ المصلح، يُجاهدُ بأمره ونهيه وإصلاحه، فإن تَحطَّمت السفينة بعد ذلك فشتان بين غريقٍ وغريق؛ غريقٌ في جهنم، وغريقٌ في الجنة شهيدٌ بإذن ربه.

ومِنْ آثَارِ الإِيمان: حفظ الجوارح، وتذليلها لطاعة الله، وانقيادها لأوامر الله، حفظ القلب من الشهوات والشبهات، وحفظ اللسان من الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض المسلمين والإفساد، وحفظ السمع إلا من كتاب الله، وذكر الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما أباحه الله، وحفظ البصر من إطلاقه فيما حرَّم الله؛ ليجد بعد ذلك حلاوة إيمانه إلى أن يلقى الله، وحفظ البطن فلا يدخله إلا ما أحله الله، والله طيب لا يقبل إلا طيباً، فالمؤمن بإيمانه يحفظ جوارحه، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤].

ومِنْ آثَارِ الإِيمان على الحياة: آثاره على المجالس، حيث يجعلها رياضاً من رياض الجنة، ملائكة تحفُّ، ورحمةٌ تتنزل، وسكينةٌ تغشى، وربٌ رحيمٌ كريمٌ يقول: انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ، فيا لله ما أعظَمَهَا مِن مَجَالِس! وما أعظمَ جالسيها ومُرتاديها، جعلنا الله وإياكم من أهلها!

ومِنْ آثَارِ الإِيمانِ على الحياةِ: آثاره في تلك اللحظة الأخيرة، في تلك اللحظة الحاسمة، في لحظة الموت العصيبة المريرة التي لا يثبت فيها إلا المؤمنون، يوم يعتقل اللسان، ولو لم يعتقل لصاح الميت من شدة ما يلاقي من السكرات حتى تندك جدران الغرفة التي هو فيها، يوم يخدر الجسم، ولو لم يخدر لما مات أحد على فراشه، ولما مات إلا في شعب الجبال ورؤوسها؛ من شدة ما يلاقي من السكرات.

اللحظة التي صورها من علمنا بأبي هو وأمي ﷺ يوم يغمى عليه ويصحو، ويقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»[أخرجه البخاري (٤٤٤٩) عن عائشة رضي الله عنها]، لحظة عاناها رسولُ الله ﷺ، وعَانَاهَا صَحابةُ رسول الله ﷺ ووصفها أحدهم وهو عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ﷺ فقالَ وهو في اللحظات الأولى من لحظات السكرات، ولا زالَ لسانُه لم يُعْتقل، ولا زالَ جسمُه لم يُخدر: [وَاللَّهِ كَأَنَّ عَلَى كَتِفَيَّ جَبَلَ رَضْوَى، وَكَأَنَّ رُوحِي تَخْرُجُ مِنْ ثُقْبِ إِبْرَةٍ، وَكَأَنَّ فِي جَوْفِي شَوْكَةَ عَوْسَجٍ، وَكَأَنَّ السَّمَاءَ أُطْبِقَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا]، في هذه اللحظات المريرة العصيبة يأتي أثرُ الإيمانِ واليقين، فَيُلهمَكَ اللهُ النُّطق بالشهادتين: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنْ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

في تلكَ اللحظاتِ يأتي المؤمنون فيَسعَدُونَ بتلكَ اللحظات؛ لأنهم يعلمون أنها آخر عناء وتعب، وآخرُ نَصَبٍ ووصب، ليس هذا فحسب، بل تستقبلهم الملائكة، بل تبشرهم الملائكة، فلا خوفٌ ولا حزنٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)﴾[فصلت: ٣٠-٣١].

هَا هُو عُمر بن عبد العزيز عليه رحمة الله في سكرات الموت يقول: مرحباً بالوجوه ليست بوجُوه جنٍ ولا إنس، ثُم يَطلُبُ مَنْ حَولَه أنْ يَخرجُوا، وإذَا به يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣]، ليلقَى اللهَ عزَّ وجلَّ عَلَى ذَلكَ.

وأحدُهُم بَلَغتْ به سَكَرَاتُ الموتِ مَبلغاً فيقُولونَ لَهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إلا الله –وهو من الصالحين ولا يُزكَّى عَلَى الله– فَكَانَ يَقُولُ: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾[يس: ٢٦-٢٧]، ليلْقَى اللهَ عَلَى تِلكَ الحَال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم: ٢٧].

ومؤذن لطلا رفع الأذان من على المنائر كل يوم خمس مرات يختمها بلا إله إلا الله، وفي تلك اللحظات الأخيرة من حياته يغمى عليه إغماءة مستمرة، فما كان يفيق إلا في وقت الصلاة، فإذا جاء وقت الصلاة قام وأذن حتى يقول: لا إله إلا الله، ثم يعود إلى إغمائه، وفي مرة من المرات، يفيق من إغمائه ويقول: يا بني –وابنه معه– أحان وقت الصلاة؟ قال: نعم، فقال: الله أكبر، الله أكبر حتى ختمها بلا إله إلا الله، ليلقى الله على تلك الحال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧]، وفي المقابل تجد الذين لا إيمان لهم في تلك اللحظات، الذين لم ينضبط سلوكهم قد ضيق الله عليهم، وعسَّر أمورهم، وأوغر صدورهم، ثم لا يُلْهمون الشهادة ليختموا بها حياتهم، فيا لها من سوء خاتمة ها هو شاب في سكرات الموت، يقولون له: قل: لا إله إلا الله –ولطلا دنَّس فمه بشرب الدخان– فيقول: أعطوني دخلناً، فيقولون: قل: لا إله إلا الله، فيقول: أعطوني دخلناً، أعطوني دخلناً، فيقولون: قل: لا إله إلا الله عله أن يختم لك بها قال: لَنا بريء منها، أعطوني

دخاناً، ليلقى الله على تلك الحال، نسأل الله حسن الخاتمة.

وشاب أخر –كما ذكر الشيخ سلمان –: كان صادّاً نادّاً عن الله جل وعلا، وحلَّت به سكرات الموت التي لابد أن تحل بي وبك، لا أدري أقريب أم بعيد؟ ونسأل الله أن يحسن لنا ولكم الختام، جاء جُلاسُه وقالوا: قل: لا إله إلا الله، فيتكلم بكل كلمة ولا يقول لا إله إلا الله، ثم يقول في الأخير: أعطوني مُصحفاً، ففرحوا واستبشروا وقالوا: لعله يقرأ آية من كتاب الله، فَيُختم له بها، فأخذَ المصحف ورفعه بيده، وقالَ: أُشهدكم أني قَدْ كَفرتُ بِربِ هَذا المُصحف، ثم يَلقى اللهَ على ذلك، نسأل الله أن يُحسن لنا ولكم الختام: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم: ٢٧].

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِ الأنبياءِ والمرسَلينَ، وعلى آلِه وصحْبِه أجمعينَ، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ؛ فيا عبادَ اللهِ:

وَمِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ: السَّكِّينَةُ وَالثَّباتُ فِي الْقَبْرِ يَوْمَ تُطْرَحُ وَحيداً فَرِيداً لَا أَنيس، وَلَا صَاحب، وَلَا قَرِيب، وَلَا حَبيب، وَلَا خَلِيل، يَوْمَ تكون مَعَ أَهْلِكَ فِي لَيْلَةٍ تَفْتَرِشُ الْوَثِيرَ، وَتَشْرَبُ النَّمِيرَ، وَإِذْ بِكَ فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى تَفْتَرِشُ التُّرَابَ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِكَ، فَيَا لَذُلِّكَ وَيَا لِحَسْرَتِكَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا تُرِيدُ الزِّيَادَةَ، وَتَعَضُّ أَصَابِعَ النَّدَمِ عَلَى مَا فَرَّطْتَ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ، وَأَنَّى لَكَ بِالنَّدَمِ أَنْ يَنْفَعَكَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ؟

ولْنتَ على هذه الحال -يا أيها المؤمن- تأتيك نعمة الإيمان فيثبتك الله ويلهمك الإجابة على الأسئلة الثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ثم بعدها يُفتح لك باب إلى الجنة؛ لتنعم من رَوحها وطيبها، جعلنا الله وإياكم من سكانها.

وتَأتِي آثَارُ الإِيمانِ يَومَ القِيَامَةِ، يوم يبعثر ما في القبور، ويُحصَّل ما في الصدور، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾[عبس: ٣٤-٣٧]، يوم يُسأَلُ كلُ إنسانٍ عُمُرِه فيما أَفْنَاهُ، عَنْ شَبَابِه فيمَا أَبْلَاهُ، وعَنْ مَالِه مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفِيمَا أَنْفَقَهُ، وعَنْ عِلْمِه مَاذَا عَمِلَ فِيه، يوم يجمع الله الخلائق وأنت منهم، علويّهم والسفلي، أولهم والآخر، ذكرهم والأنثى، حفاة عراة، قلقين فزعين، قد دنت الشمس منهم قدر ميل، قد بلغ العرق منهم الحناجر، «ثم يَقُولُ لِلَّهُ تَعَالَى: "يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»[أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد ﷺ]. يومها يَشيبُ الصَّغيرُ، وَتَضعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ، عِندَهَا تَجِدُ المُؤمِنِينَ تَحتَ ظِلِ الرَّحمَنِ يَومَ لا ظِلَ إلا ظِلُه، آمنينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين!

ثُمَ تَظْهَرُ آثَارَ الإِيمانِ عِندَ المِيزَانِ: يَومَ تُعرضُ السِّجلات سجلاً سجلاً، وصَفحةً صَفحة، وكَلمَةً كَلمَة، ولَحْظَةً لحظَة، ويَوماً يوماً، لا تُغادرُ صغيرةً ولا كَبيرةً، يَومَ يُنادَى عَلَى رءوسِ الخَلائقِ لَقَدْ سَعِدَ فُلان ابن فُلان سَعادَةً لا يَشقَى بَعدَها أَبداً.

وتَظْهَرُ آثَارَ الإِيمانِ يَومَ يُعبرُ عَلَى الصِّراط والنَّاس يَتساقَطُونَ فِي النَّارِ تَساقُطَ الفَرَاشِ عَلَى الشِّهَاب.

وتَظْهَرُ آثَارَ الإِيمانِ يَومَ يقولُ اللُه: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[الزخرف: ٧٠]،فإلى هنا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ تعالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾[السجدة: ١٧].

فيا بائعًا هذا ببخسٍ مُعَجَّلٍ ... كأنَّك لا تدري، بلى سوفَ تَعْلَمُ

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ... وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

هَذه بَعْضُ آثَارِ الْإِيمَان عَلَى الْحَيَاة، هي غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، وَقَطرٌ مِنْ بَحرٍ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْآخِرَةَ فَالطَّرِيقُ الْإِيمَان، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الدُّنْيَا فَالطَّرِيقُ الْإِيمَان، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ وَالدُّنْيَا مَعاً فَالطَّرِيقُ الْإِيمَان.

عارٌ أيُّما عَار –يا عبد الله– أن تعيشَ عشرين عاماً أو خمسينَ أو أقل أو أكثر بلا إيمان، ثم تستقبل الآخرة بلا بطاقة لا إله إلا الله، ولا جواز: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[الزخرف: ٧٠].

فَيَا سَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الجَّهْلِ والْهَوَى ... صَرِيْعَ الأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَى الوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ ... سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ
وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى ... كَذَاكَ عَلَى فِيْهِ الْمَهَيْمِنُ يَخْتِمُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا ... تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِيْنَ وَتُقْسَمُ
فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وحيِّ عَلَى رَوضاتِهَا وخِيَامِهَا ... وحيِّ على عَيشٍ بِها ليس يُسأَمُ

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الأعظم، الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، أنْ ترزقنا إيماناً نجد حلاوته، وقُلوباً خاشعَة، وألسنةً ذاكرة، وأعيناً من خشيتك مدرارة.

اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ رَحْمَتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ يا سميع الدعاء!

اللَّهُمَّ انفعنا بما قلنا، اللهم انفعنا بما سمعنا، اللهم واجعله حجَّة لنا.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ أنت ملاذنا، اللهم أنت ملجؤنا، اللهم أنت حسبنا فلا تكلْنا إلى أنفسنا طرفة عين، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

عِبادَ اللهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكُرْكم، واشكُرُوه على نِعَمِه يَزِدْكم، ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

أَعَدَّها

د. سعيدُ بن سعد آل حماد

www.alhmmad.net